

عزیز بن فرحان العنزی

# العام الدراسي الجديد

لفضيلة الشيخ الدكتور

عزیز بن فرحان العنزی

-حفظه الله-

## العام الدراسي الجديد

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فيا أيها المسلمون! أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ، واعملوا أن من اتقى الله وقاه، ومن لم يتق الله فقد باء بالخسران المبين.

عباد الله! لقد عظم الإسلام شأن العلم والعلماء، وفي كتاب الله ﷻ عشرات النصوص والآيات القرآنية، التي تحث على العلم، وتبين فضل العلماء، ونبينا ﷺ جاء بالعلم وبالمعرفة، صلى الله وسلم وبارك عليه، يقول الله ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

ويقول ﷻ مبيناً شأن العلماء، وأنهم أصحاب مكانة عالية: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، ويقول ﷻ في

معلم الشئ على أهل العلم: ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَجِرُونَ لِالَّذِقَانِ سُبْحَانَ﴾ [الإسراء: ١٠٧].

والله ﷻ أشهد على وحدانيته نفسه ﷻ وملائكته، وثلث بأهل العلم، فقال سبحانه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

والآيات في هذا المعنى كثيرة جدًا، بل ربنا ﷻ جعل أول ارتباط بين السماء والأرض في قوله ﷻ: ﴿اقْرَأْ بِأَسْمَاءِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [العلق: ١-٤].

فأول آية أنزلت على قلب محمد ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، هي قوله ﷻ: ﴿اقْرَأْ﴾ [العلق: ١]، وذكر الله ﷻ القلم؛ لارتباط القراءة بالكتابة، ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٣-٥].

والنبي ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ حثَّ على العلم، وعلى التعلم، بل إن شريعته ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قائمة على العلم والتعليم.

فهذا نبينا ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بُعث بالعلم، فيعلم الناس إلى طريق الصواب، ويدلهم على الله ﷻ، وقد امتن الله ﷻ عليه بالعلم؛ فقال سبحانه له: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

وربنا ﷻ هو واهب العلم، ومانحه ﷻ؛ إذ يقول سبحانه وعز في آيات كثيرة في كتابه ﷻ، منها قول الله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

والنبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** بَيَّنَّ فَضِيلَةَ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ، فَقَالَ **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ»<sup>(١)</sup>.

وكان النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** يبين ما لطالب العلم من الدرجات العلى، وماله من المنزلة السامية، والمكانة الرفيعة، حتى قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «وَإِنَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْبَحْرِ، وَحَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا، لَيَسْتَغْفِرُونَ لِمُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ»<sup>(٢)</sup>.

وقال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ»<sup>(٣)</sup>، في إشارة إلى أن العلماء هم ورثة الأنبياء، فالأنبياء كما قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «نَحْنُ مَعَاشِرُ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَاهُ صِدْقَةً»<sup>(٤)</sup>، وميراث الأنبياء هو هذا العلم الشرعي، هذا العلم من كتاب الله، ومن سنة رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**.

فهنيئًا، ويا بشري لمن سلك هذا المسلك، ويا سعادة من نال هذا الميراث؛ إذ إنه يُحشر مع النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**.

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ: والصواب ما أخرجه البخاري (٥٠٢٧) من حديث عثمان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٨٥)، والطبراني في "المعجم الكبير" (٨ / ٢٣٤)، رقم (٧٩١٢) من حديث أبي أمامة، رضى الله عنه.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، وابن ماجه (٢٢٣)، وأحمد (٢١٧١٦)، وابن حبان (٨٨) من حديث أبي الدرداء رضى الله عنه، وصححه الألباني في "مشكاة المصابيح" (١ / ٧٤).

(٤) أخرجه مسلم من حديث (١٧٥٧) من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

أيها المؤمنون! شريعتنا شريعة علمٍ ومعرفة؛ ولذلك حينما جاءت هذه الشريعة المحمدية، على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم، جاءت بهذا العلم، وفرت مناخًا عجيبيًا وعظيمًا، استنبت كل خيرٍ وفضيلة، في هذا العالم، فنشأ في هذه الأمة علماء ربانيين، يقودون الناس ويدلونهم على الله، ويعرفونهم بالله، ويعلمونهم أحكام شرعه، وأيضًا أورثت هذه الأمة علماء كُثُر، في جميع التخصصات الأخرى، فبرز الأطباء، وبرز المهندسون، وبرز الفلكيون، وبرز أهل الحساب، وبرزت صناعاتٌ عديدة، كلها أتاحتها هذه الشريعة الإسلامية السمحة.

**بل إن أهل العلم من أهل التحقيق، حينما يتحدثون عن العلم، يقولون:  
العلم علمان:**

علمٌ هو من قبيل فريضة الأعيان، بمعنى أنه يجب على كل مسلم أن يتعلمه، وذلك جميع الواجبات الشرعية؛ لأن القاعدة أن كل عبادةٍ وجبت على المسلم فتقدم العلم عليها واجب، فكما أنك كُلفت حين البلوغ بالصلاة، فيجب عليك وجوبًا عينيًّا بذاتك أن تتعلم الوضوء، وأن تتعلم الاغتسال، وأن تتعلم الصلاة، وإذا كنت صاحب مالٍ، وقد بلغ مالك النصاب، وحال عليه الحول، يجب عليك أن تتعلم أحكام الزكاة، فإن كنت صاحب أنعامٍ تتعلم وجوب الزكاة في الأنعام، وكيفية أنظمتها، وإن كنت أصحاب مالٍ ودراهم ودنانير، كذلك تتعلم، وإن كنت أصحاب زرعٍ كذلك.

**إذًا القاعدة أيها المؤمنون:** أن كل عبادةٍ وجبت على الإنسان فتقدم العلم عليها واجب، حتى الدعوة إلى الله ﷻ، فحينما يتأهل الإنسان إلى أن يكون داعيًا، أو أنه يريد أن يتصدر في الدعوة إلى الله ﷻ، فيجب عليه قبل أن

يخوض غمارها، وأن يدخل ساحتها، أن يتعلم العلم الشرعي، الذي به يُؤدى الدعوة، على منهج ومسلك رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**.

ولذلك بَوَّبَ الإمام البخاري -رحمه الله تعالى- في صحيحه باباً<sup>(١)</sup>، قال: بابُ (العلم قبل القول والعمل)، ثم سرد النصوص الشرعية الآمرة بتعلم العلم الشرعي.

**أَمَّا الْقِسْمُ الْآخِرُ مِنْ أَقْسَامِ الْعُلُومِ:** فهو علوم الكفايات، إذا قام به من يكفي من أمة محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** ارتفع الإثم عن الباقيين، وقال كثيرٌ من أهل العلم، من أهل التحقيق، ومن علوم فروض الكفايات، علم الحساب، والرياضيات، والطب، والهندسة، والخياطة، وغير ذلك.

بل إنهم ذكروا كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمة الله عليه وغيره:- "ولو أن الأمة تراجعت وتقهقرت، في عدم تعلم هذه العلوم، قالوا: يلزم ولي الأمر أن يجبر طائفةً من المسلمين، على تعلم هذه العلوم، التي بها قوام الدنيا الناس، حتى لا تصبح الأمة عاليةً على باقي الأمم"<sup>(٢)</sup>.

إذاً تعلم هذه العلوم من ديننا يا أمة محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، وهذا يدلنا على سعة الشريعة، ورحمتها، وعلى أن روح الشريعة تضرب في كل جهةٍ وناحيةٍ من نواحي الدين والدنيا، فله الحمد أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

أقول هذا الكلام؛ لأن من الناس من يعتقد أن ممارسة الأعمال الفكرية، أو الصناعية، أو اليدوية، من الطب، والهندسة، والخياطة، وباقي الصناعات،

(١) (١ / ٢٤).

(٢) "جامع الرسائل" لابن تيمية (٢ / ٢٢٤).

يعدها فقط من أمور الدنيا، لا شك أن بها قوام الدنيا، لكن متى ما إن استحضر العبد النية الصالحة لله ﷻ وتقدس، أثابه الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** على هذا العمل، بل قد يؤجر أجرًا لا حدود له حينما يُسهم في نشر الخير، كأن يكون طبيبًا يعالج المرضى، أو يكون مهندسًا يُصلح أمور الناس وطرقهم، ويسعى مخلصًا جاهدًا في أن تكون الأمور في أحسن وجهٍ وأتمه، أو يكون مبدعًا في صناعةٍ من الصناعات، والنبى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** ربما أرسل بعض أصحابه يتعلموا صناعةً من الصناعات، عليه من ربي أفضل الصلاة وأتم التسليم.

عباد الله! ونحن في هذه الأيام نستقبل عامًا دراسيًا جديدًا، بعد ما ولّى العام الماضي بما فيه من أتراح وأفراح، وبما فيه من إقبالٍ وإدبار، ولّى ذلك العام ولن يعود أبدًا، نستقبل عامًا دراسيًا جديدًا، يتأبطُ أبناؤنا كتبهم، ويحملون حقائب دراستهم، ويسعون غادين ورائحين، إلى المدراس يتعلمون، فيا لها من نعمةٍ عظيمة، هذه النعمة تؤكدُها شريعة الإسلام، وتحث عليها، وإنَّ فيها من الفوائد والعبر ما فيه خيرٌ للعباد، وللبلاد، وما فيه رفعةٌ لدين الإسلام بإذن الله ﷻ.

وإن كان من وصية، فالوصية قائمةٌ على قُطب رحي هذا الوجود، ألا وهو الإخلاص لله ﷻ في السر والعلن، وفيما يأتي الإنسان ويدّر.

يخلص الأب في تعليم أولاده، ويخلص المربي المعلم الفاضل، في تعليم أبناء المسلمين، ويبدل أقصى ما عنده، ويخلص الطالب في طلبه للعلم والذهاب إلى المدرسة، يخلص في ذلك ابتغاء ما عند الله ﷻ.

إذا توفر الإخلاص، واستحضر الناس النية الصالحة لله ﷻ، فيأذن الله سنجد ثمار هذا التعليم، بعملية التربوية بجميع أطرافها، سنجد الثمرة ماثلةً

بين أيدينا بإذن الله ﷻ، كشجرة باسقة، ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾  
[إبراهيم: ٢٥].

وفقني الله وإياكم لاتباع الكتاب والسنة، وهداني وإياكم إلى ما فيه  
رضوانه والجنة.

أقول ما تسمعون، وأستغفرُ الله لي ولكم، ولسائر المسلمين من كل ذنبٍ  
وخطيئة، يا فوز المستغفرين، أستغفر الله.





## الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وصلى الله وسلم وبارك على النبي المصطفى، وعلى من بأثره اقتفى، إلى يوم الحشر والمنتهى.

**أَمَّا بَعْدُ:**

فيا أيها المؤمنون! إن هذا العلم ليس بالأمر السهل الميسر إلا لمن يسره الله ﷻ عليه، ولذلك يحتاج مزيد جهدٍ، ومزيد إخلاصٍ وتفانٍ، من جميع الأطراف ومن جميع الجهات، ذلك أن الله ﷻ قال لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥].

هذا العلم لا شك أنه ثَقِيلٌ، إلا لمن يسره الله ﷻ عليه، ولذلك كان أصحاب محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، يطلبون هذا العلم طلباً يضاھي الجھاد، ويضارعه في سبيل الله رب العالمين، ذلك أن هذا العلم يحتاج إلى إضناء الجسد، وإلى إسھار العين، وإلى بذل المال، نعم، كان أصحاب محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ربما سافر الواحد منهم مسافة شهرٍ في سبيل طلب حديثٍ واحد.

فهذا جابر بن عبد الله سافر إلى الشام مسيرة شهرٍ واحد؛ ليلتقي بعبد الله بن أنيس، فيسمع منه حديثاً واحداً عن نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ<sup>(١)</sup>، وسافر

(١) ذكره البخاري معلقاً (١/ ٢٦)، وأخرجه أحمد في "المسند" (١٦٠٤٢).

أبو أيوب الأنصاري إلى مصر؛ للقاء عقبة بن عامر -رضي الله تعالى عنهما- ليسمع منه حديثاً واحداً<sup>(١)</sup>، وكان أصحاب عبد الله بن مسعود يرحلون من الكوفة إلى المدينة؛ لسماع الحديث من لسان عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم-.

وكان ابن عباس هذا الحبر، الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم، وقد دعى له، قال: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ»<sup>(٢)</sup>، حتى وصفه علي بن أبي طالب -رضي الله عنه وأرضاه-: "أنه -أي: ابن عباس- إذا فسّر القرآن كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق"<sup>(٣)</sup>، وكان ابن عباس يتوسدُ التراب على أبواب بعض أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ولا يزعجهم فيطرق عليهم الباب، كلا، حتى إذا خرجوا إلى الصلاة، يطلب منهم سماع الحديث، أو يسألهم عن فتوى، فيقولون له: "يا ابن عم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، هَلَّا أذتنا، هَلَّا فعلت كذا وكذا"، فقال: "العلم يؤتى ولا يأتي"<sup>(٤)</sup>.

هكذا كانوا يتأدبون مع العلماء -رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم-.

ولذلك هذه الأمة أورثتنا رموزاً ولله الحمد والمنة، يزاخمون النجوم في عليائها عزةً، ورفعاً، وسؤدداً، حفظ الله ﷻ بهم الملة، وجعلهم قادةً في هذه الملة.

(١) أخرجه أبو داود (٤١٨)، وأحمد في "المسند" (١٧٣٢٩) من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٣)، ومسلم (٢٤٧٧) من حديث ابن عباس، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٣) يُنظر: "التفسير البسيط" (١/ ١٤٠).

(٤) أخرجه الدارمي (٥٩٠)، والحاكم في "المستدرک" (٣٦٣) عن ابن عباس

الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى - إمام أهل السنة، سُئل عن حفظه للحديث، قال: كان يحفظ مليون حديث، ما بين صحيحٍ وضعيفٍ وموضوع<sup>(١)</sup>.

وهذا أبو زُرعة الرازي، كان يحفظ مائتي ألف حديث، حتى إنه كان يقول: "والله إني لأحفظ مائتي ألف حديث، كما يحفظ أحدكم قل هو الله أحد"<sup>(٢)</sup>.

ونحن الآن في زمنٍ جفت فيه مشاعر طلب العلم، حتى إن الواحد منا يعجز أن يحفظ الأربعين النووية، بل إن بعض المسلمين لم يسمع بالأربعين النووية أصلاً، فضلاً أن يقرأ فيها أو أن يحفظها.

أمة الإسلام ديننا دينُ علمٍ، ومعرفةٍ، وريادةٍ، بإذنه ﷻ، متى ما إن تمكسنا به، بهذا الدين، ورجعنا إلى الأصلين العظيمين.

**وصيتي للآباء:** أن تتجاوزوا مرحلة البناء الجسدي لأبنائكم، فليس بالضرورة فقط أن تقف أيها المسلم على شراء الحقائق، أو الثياب، أو توفير مستلزمات الدراسة، بل عليك أن تذهب إلى أبعد نقطة، وهي أن تشارك العملية التربوية، من خلال زيارتك للمدرسة، ومن خلال حث ابنك على طلب العلم، والتعلم الصحيح، وأن يستحضر النية الصالحة، وأن ترعاه في أغلب أوقاتك؛ لأن من الآباء من يرى بأنه إذا أوصل ابنه إلى المدرسة، فقد رمى عن كاهله عبئاً ثقيلاً، ويقول: بأن المدرسة هي المسؤولة تماماً عن أخلاق الابن، وعن دينه.

(١) "سير أعلام النبلاء" (١٣ / ٥١٦).

(٢) "تاريخ بغداد" (١٠ / ٣٣٥).

وهذا الاعتقاد، وهذا العمل، أورثنا -والعياذ بالله- جيلاً فاسداً؛ لأن كثيراً من الأبناء في واقع الأمر، حينما تبني المدرسة، تهدم البيوت، وكثيراً من الأبناء، قد لا يذهب إلى المدرسة أصلاً في ظل جهل والديهم، وعدم علمهم بأولادهم، فالواجب عليك أن تذهب بقدميك إلى المدرسة، وأن تراقب أولادك، وأن تشكر المعلمين على ما يقومون به من جهد تجاه أبنائك، فإنه أمرٌ مفروضٌ عليك؛ لأن العملية التربوية لا تتم إلا بهذا التكامل بين البيت والمدرسة.

**أيضاً:** أولئك النفر الذي هم صفوة المجتمع، من المعلمين والمعلمات، أسأل الله تعالى أن يوفقهم لما فيه الخير والصلاح للعباد والبلاد، أنتم أيها المعلمون، أنتم ومثله في جبين هذا الأمة، أنتم فُص خاتم هذه الأمة، أنتم الصفوة والخلصة؛ فالنبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ»<sup>(١)</sup>، فحينما تسهمون في تربية أبنائنا، وحينما تسهم المعلمات في تربية بناتنا، على دين الإسلام، وعلى هذه الملة، وأيضاً تعزيز العادات الطيبة، التي لا تتناقض مع شرعنا، فلا شك أن هذا أمرٌ عظيمٌ، ولا شك أنه أمرٌ ينبغي لكل إنسانٍ أن يرفع رأسه عالياً.

وحينما أؤكد على قضية تعزيز العادات والتقاليد، التي في الحقيقة يعتصم بها كثيرٌ من الناس، مما لا تخالف شرعاً، أقول هذا في ظل غزوٍ تغريبيٍّ خطير، على أولاد المسلمين، حتى إنهم بدأوا ينسلون من ثيابهم، ومن عاداتهم، ويلبسون ألبسةً غربيةً أو شرقية، ويُحدثون أشياءً بأجسادهم تُضحك الثكلى

(١) سبق تخريجه.

وربي مما يصنعه كثيرٌ من الناس، من الشباب في شعورهم، وفي أبدانهم، نسأل الله لنا ولهم الهداية.

إذا ينبغي أن تكون مسؤوليتنا يا أيها المعلمون، ينبغي أن تكون المسؤولية وفق الأحداث، ووفق هذا الغزو الممنهج، التي تتعرض له أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

والحذر الحذر يا أيها المعلم، ويا أيها المربي الفاضل، الحذر الحذر أن يرى منك الطالب أمرًا مخالفًا لما تقوله لتربي به أبناء المسلمين، فإن الطباع سرّاقة، والطالب حينما يرى الأستاذ على أمرٍ مخالفٍ، لا شك أنه يسقط من عينه، أو تقل قيمة كلامه، وتوجيهه لأبناء المسلمين، فالإنسان كما قال الله ﷻ عن شعيب عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَكُمْ عَنْهُ إِنِّي أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

فالأفعال أقوى من الأقوال في التأثير، فكن قدوةً، ومثالاً، وأنموذجاً رائعاً لأبنائك الطلاب؛ حتى تنال الأجر والثواب من الله ﷻ.

وأنتم يا أبنائي الطلاب، عليكم بتقوى الله، والإخلاص له، والسعي الحثيث في تعلم العلم الشرعي، والعلم الدنيوي، الذي يُعز الله ﷻ هذه الملة، ويرفع به الأوطان، ويجعل أمتنا في رأس الأمم، لا في ذيلها.

والواجب عليكم بعد الإخلاص والتقوى، احترام هذا المعلم، هذا المربي، الذي هو مربي الروح في واقع الأمر، فإذا كان لك أباً مربيًا الجسد، فهذا مربي الروح والقلب بإذن الله ﷻ، الواجب عليك احترامه وتقديره.

قُمْ لِلْمُعَلِّمِ وَفِيهِ التَّبَجُّيلَا كَادَ الْمُعَلِّمُ أَنْ يَكُونَ رَسُولًا<sup>(١)</sup>

إنَّ الطَّيِّبَ وَالْمُعَلِّمَ كِلَاهُمَا إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْصَحْهُمَا، فَلِيَرْضَ الْجَاهِلُ بَدَاءَ جَهْلِهِ، وَلِيَرْضَ الْمَرِيضَ بَدَائِهِ وَبِمَرْضِهِ، إِذَا لَمْ يُنْصَحْ، وَلَمْ يُحْتَرَمِ، الطَّيِّبُ وَلَا الْمُعَلِّمُ.

أيُّهَا الْإِخْوَةُ الْفَضْلَاءُ، يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، أَوْكَدَ عَلَيَّ أَنْ دِينَنَا دِينُ عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ، دِينَنَا وَاللَّهِ الْحَمْدُ دِينٌ لَا يَرْضَى بِالْجَهْلِ، وَلَا أَنْ يَعِيشَ الْمُسْلِمُ عَلَيَّ هَامِشِ الْحَيَاةِ، كَلَّا عَلَيَّ الْآخِرِينَ.

إِذَا كَانَ النَّاسُ يَتَفَاخَرُونَ بِبَعْضِ الْمِلَلِ، أَوْ بِبَعْضِ النَّاسِ فِي الشَّرْقِ أَوْ الْغَرْبِ، بِأَنَّهُمْ أَهْلُ قِرَاءَةٍ، وَأَهْلُ حِفَاظٍ عَلَى الْوَقْتِ، فَنَحْنُ أُمَّةٌ كَذَلِكَ وَاللَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، وَلَكِنَّا فِي هَذِهِ الْفِتْرَةِ، نَمُرُ بِأَزْمَةٍ جَفَافٍ، وَنَمُرُ بِأَزْمَةٍ بُخَلٍ فِي الْقِرَاءَةِ فِي كِتَابِ الْعِلْمِ، وَإِلَّا لَوْ قَرَأْنَا سِيرَةَ سَلْفِنَا الصَّالِحِ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ- وَالَّتِي تَحْكِيهَا وَتَصَوِّرُهَا لَنَا هَذِهِ الْكُتُبُ، وَهَذِهِ الْمَصَادِرُ، الَّتِي أَوْرَثُونَا إِيَّاهَا، عَلِمْنَا يَقِينًا بِأَنَّ تِلْكَ الْأُمَّةَ مَا كَانَتْ تَتْرِكُ لِحِظَةً مِنْ لِحِظَاتِ حَيَاتِهَا إِلَّا وَقَدْ اسْتَفَادَتْ مِنَ الْعِلْمِ.

فَهَذَا ابْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ الَّذِي أَلْفَ هَذَا التَّفْسِيرِ فِي أَرْبَعِينَ أَلْفَ وَرَقَةٍ، ثُمَّ أَلْفَ التَّارِيخِ فِي ثَلَاثِينَ أَلْفَ وَرَقَةٍ<sup>(٢)</sup>.

وهذا النووي -رحمة الله عليه- مات وعمره ستًا وأربعين سنة، حُصِبَتْ أَيَّامَ عَمْرِهِ عَلَى تَأْلِيفِهِ، فَوُجِدَ بِأَنَّهُ يَكْتُبُ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ أَرْبَعَ كِرَارِيسَ فِي الْيَوْمِ

(١) "ديوان" أحمد شوقي (ص: ١٠٢).

(٢) "تاريخ بغداد" (٢ / ١٦٣)، و"تذكرة الحفاظ" (٢ / ٧١٢).

الواحد، وكان بعض علماء الإسلام، حينما يؤتى ويقال له: اذهب معنا، فيقول للناس: "أوقفوا الشمس" (١).

وكان ابن الجوزي إذا جاءه بعض البطالين الذين ليس عندهم شغل ولا عمل، إلا القيل والقال، وهو يستحي من إخراجهم من بيته، أجلسهم، ثم وزع عليهم الأقلام، هذا يبري قلمًا، وهذا يُقَطِّع ورقةً، ثم يشغلهم في العلم قصرًا (٢).

فبهذا أورثوا لنا هذه الكنوز، التي ما زلنا نتفياً ظلالها، ونستنبط منها كل خير وفضيلة.

وفقني الله وإياكم لاتباع الكتاب والسنة، ووفق أبناءنا وبناتنا لطلب العلم الشرعي، والعلم الدنيوي، الذي به رفعة البلاد، وعزة العباد بإذن الله ﷻ.

هذا وصلوا وسلموا على النبي المصطفى، والرسول المُجْتَبَى، إذ أمركم الله ﷻ بالصلاة والسلام عليه، فقال وهو أصدق القائلين: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

فرحان

الدكتور عفيف فرحان الحلواني العنزي  
Aziz Farhan AlHeblani AlEnezi

(١) "تاريخ الإسلام" (١٥ / ٣٢٤).

(٢) "تاريخ الإسلام" (١٢ / ١١٠٠).